هل نحن أفضل بدون الدّين؟ أضرار (وفوائد) الاعتقاد الدّينيّ[1]

كريستيان ب. ميلر[2]

١. المقدّمة

يقول سام هاريس:

«حان الوقت لنعترف بأنّ جميع الرّجال والنّساء العاقلين لديهم عدوّ مشترك قريب جدًّا منّا، وخادع لدرجة أنّنا نحتفظ بمشورته حتى وإن كان يهدّد بشكل كبير إمكانيّة السّعادة البشريّة. عدوّنا ليس سوى الإيمان نفسه»[3].

يعبّر هاريس هنا عن موضوع مشترك في كتابات جميع الملحدين الجدد البارزين. الموضوع، في أبسط صوره، هو أنّ البشر سيكونون أفضل بدون الدّين. إذ أنّ الدّين قد ألحق ضررًا كبيرًا بحياتنا، ومن الممكن تحقيق جميع الأُمور الايجابيّة في الدّين بوسائل التّفكير العلمانيّة. لذا، من أجل جعل النّاس أكثر سعادة، يجب علينا التّخلّص من الدّين والاعتقاد الدّينيّ في جميع أشكاله المختلفة. دعونا نسمّي هذا المسلك الاستدلالي العامّ: «حجّة الأضرار الدّينيّة».

---

1. Miller, "Are We Better off without Religion? The Harms (and benefits) of Religious Belief." In A New Theist Response to the New Atheists, edited by Kevin Vallier & Joshua Rasmussen. New York: Routledge, 2019.

٢. أستاذ الفلسفة في جامعة ويك فورست (Wake Forest University) ويحمل كرسي أ. سي. ريد (A. C. Reid).

3. Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 131.

في هذا الفصل، أرغب في استكشاف هذه الحجة ببعض التّفصيل[١]. مع أنّنا يجب أن نتّفق جميعًا على أنّ بعض النّاس الذين يتصرّفون باسم ديانتهم قاموا بأضرار جسيمة على مرّ العصور، سأقترح أنّ هناك مشكلات هامّة في حجة الأضرار الدّينيّة. في الواقع، سأقترح أنّ لدى الملحدين الجدد أسباب مقنعة لعدم تأييد مشروع القضاء على أنماط الاعتقاد الدّينيّ المعقولة بالحدّ الأدنى. لماذا؟ لأنّ نفس هذا الاعتقاد يمكن أن يجعل المجتمع «أفضل» ممّا هو عليه.

سنمضي على النّحو التّالي: في القسم ٢، سأقدّم حجّة الأضرار الدّينيّة بمزيد من التّفصيل، بالإضافة إلى بعض المؤيّدات المقدّمة نيابة عن هذه الحجّة. تُعنى الأقسام ٣ و ٤ ببعض المشاكل في المقدّمة الأُولى من الحجّة. كما يُعنى القسم ٥ بإشكاليّة حول المقدّمة الثّانية. ثمّ يستكشف القسم ٦ بشكل مبدئيّ الحُجّة التي يمكن أن تُقدّم من أجل تبيين الوجه في أنّ الملحدين الجدد يجب أن يكونوا أكثر تقبّلًا للاعتقاد الدّينيّ. بل وربما، رغم أنّه قد يبدو المقترح غريبًا، يجب عليهم حتى السّماح له بالازدهار.

٢. دعوى الأضرار الدّينيّة

لمحورة هذا الموضوع، سننظر بشيء من التفصيل إلى كتاب سام هاريس وكيفيّة تطويره لحجّة الأضرار الدّينيّة. وفي هذا السّياق، نعترف بأنّه قد تكون هناك أفكار إضافيّة حول هذا الموضوع في كتابات ملحدين جدد آخرين، إلّا أنّ النّظر في جميعها لا يسعه المقام.

---

١. للنقاشات السابقة، انظر:

Strobel, The Case for Faith: chapter seven; Ward, Is Religion Dangerous?; McGrath, “Is Religion Evil?”; God is Great, God is Good: Why Believing in God is Reasonable and Responsible: chapter four; and Reitan, Is God A Delusion? A Reply to Religion’s Cultured Despisers: chapter ten.

فيما يلي ملخّص مفيد للفكرة الرّئيسيّة من كتاب هاريس (نهاية الإيمان)[1]:

«إذا صحّ ما حاولت إثباتـه في هذا الكتاب من أنّه من الممكن الحصول على كلّ إيجابيّات الدّين من مصادر أُخرى – أي على سبيل المثال، إذا كان من الممكن تنمية تجربة أخلاقيّة وروحيّة والتّحدّث عنها دون أن ندّعي أنّنا نعلم أشـياء من الواضح أنّنا نجهلها – فحينئذٍ لا يمثّل نشـاطنا الدّينيّ بأكمله سوى هدر هائل للوقت والطّاقة، على أفضل التّقادير»[2].

في هذا المقطع، يصف هاريس مسـاعي الدّين بأنّها تضييع للوقت والموارد. ولكـن كما يوضّح في باقي الكتاب، تركيـزه الرّئيسيّ هو في الواقع على الأضرار الايجابيّـة والمعانـاة التي يرى أنّ الاعتقاد الدّينيّ قد تسـبّب بها على مرّ القرون. وبالتّالي، إحـدى الطّرق للتّعبير عن حجّة الأضرار الدّينيّة بشـكل أوضح هي كالتّالي:

١. الأشـخاص الذين يتصرّفون باسـم معتقداتهم الدّينيّة قـد أحدثوا أذىً ومعاناةً رهيبة على مرّ العصور

٢. الذين يؤمنون بالدّين قد قدّموا العديد من الإسـهامات الجيّدة للبشريّة، إلّا أنّ في معظم الحالات يمكن أيضًا أن يتمّ تحقيق تلك الإسهامات الجيّدة عن طريق الأشخاص الذين يتبنّون وجهات نظر علمانيّة

٣. لذلك سـيكون من الأفضل إذا قرّر الجميع التّخلّي عـن الاعتقاد الدّينيّ وتبنّي وجهة نظر علمانيّة

ليس مقصودي أنّ هذا هو الشّكل الوحيد لحجّة الأضرار الدّينيّة الذي يمكن ابتداعـه. بل بحلول نهاية هذا الفصل سنسـتبدل هذا النّموذج بنموذج أفضل.

---

1. The End of Faith

2. Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 149.

ومع ذلك، إنّ هذا من الصّياغات المعقولة استنادًا إلى كتابات هاريس، وستكون نقطة انطلاق مفيدة لما تبقّى من الفصل.

في كتابه، يقدّم هاريس دعمًا وافرًا للمقدّمة الأُولى. من التّقاليد اليهوديّة، على سبيل المثال، يذكر كيف يتطلّب كتاب التثنية[1] قتل الزّنادق[2]. بالنّسبة للمسيحيّة، يصف بالتّفصيل تلك الفظائع التي ارتُكبت خلال مرحلة الاستجواب واضطهاد السّاحرات. أمّا الإسلام، فهو يحصل على أكبر حقّة من التّعرّض[3].

مقتضى الإنصاف أن نوضّح أنّ المقدّمة الأولى لا تزعم أنّ المؤمنين بالدّين لم يقدّموا سوى الضّرر والمعاناة. هاريس مستعدّ كذلك أن يعترف ببعض الخير الذي تمّ فعله باسم الدّين، كما يتّضح بلحاظ المقدّمة الثانية. لكنّ هاريس يصرّ على أنّ ذلك الخير ليس بالضّرورة متوقّفًا على الدّين. بل النّاس الذين يتّبعون النّظرات الكونيّة العلمانيّة يمكنهم الاتيان بمثل ذلك الخير أيضًا. بشكل أكثر تحديدًا، الرّؤى الكونيّة العلمانيّة تستطيع أيضًا أن تقدّم أرضيّة للسّلوك الأخلاقيّ، بل تستطيع أن توفّر تجارب روحانيّة من دون أن تكون تلك التجارب مستمدّة من الاعتقاد الدّينيّ[4].

لذا، بشكل عامّ، إذا كان بإمكاننا أن نتنعّم بنفس فوائد الدّين من داخل الرّؤية الكونيّة العلمانيّة، وفي نفس الوقت أن نبتعد عن كلّ المعاناة المريعة التي يسبّبه الدّين عادةً، فحينئذٍ يكون الإعراض عن الاعتقاد الدّينيّ وتبنّي نمط تفكير علمانيّ أفضل لنا. وهكذا نجد نتيجة حجّة الأضرار الدّينيّة.

---

1. Deuteronomy

2. Ibid, 82.

استنادًا إلى سفر التثنية ١٣، ١٢-١٦.

3. Ibid, 123.

4. Ibid, Section 7.

هناك نقطة أخيرة للتّوضيح: إنّ هذه حُجّة حِكميّة[1]، تتعلّق بمصلحة النّاس وما سيقدّم سعادتهم وفلاحهم. وهي ليست حُجّة دليلية[2] مرتبطة بحقّانيّة الدّين أو بطلانه. كلّ ما تريد هذه الحُجّة قوله هو أنّ دينًا ما قد يجعل الأُمور أسوأ نسبيًّا إذا اتّبعناه بدلًا من اتّباع نمط تفكير علمانيّ ولكن لا يزال حقًّا بشكل موضوعي.

بعد أن التفتّ إلى هذه النّقطة، لنضعها جانبًا. سيكون هناك ما يكفينا للتّحدّث عنه في هذا الفصل من دون أن ندخل في مجال الدليل على وجود الله أو عدم وجوده أو على صحّة دين ما.

٣. تحدّي المقدّمة الأولى: التشوّهات الدّينية

دعونا ننتقل من تقديم حجّة الأضرار الدّينيّة إلى النّظر في نقاط قوّتها وضعفها. عند تقييم هذه الحجّة، سأركّز فقط على الدّيانات التّوحيديّة الغربيّة –اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام– بدلًا من [التّطرّق إلى] الدّيانة بشكل عام. هذه هي نفس الدّيانات الّتي يهتم بها بشكل رئيسيّ هاريس وسائر الملحدين الجدد البارزين.

لنبدأ بالمقدّمة الأولى. يبدو لي أنّها صحيحة بلا شكّ. فقد ارتكبت الفظائع باسم اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، وأمثلة هاريس الخاصّة تظهر ذلك إجمالًا. وأتباع هذه الدّيانات الذين يمكن أن نسمّيهم من أجل الاختصار «مؤمنين»[3] ينبغي أن يعترفوا بهذا الأمر.

ولكن إحدى الإجابات الّتي يمكن أن يقدّمها المتديّن في المقام هي أن يدّعي أنّ الأشخاص الذين سبّبوا هذه الأضرار الفظيعة كانوا في كثير من الأحيان يشوّهون التّعاليم الأصيلة لدينهم. يمكن أن تكون هناك أسباب كثيرة أدّت إلى

1. Prudential
2. Evidential
3. Theists

القيام بتلك الأُمور، مثل أهداف سياسيّة أو اقتصاديّة معيّنة أرادوا تحقيقها. ولو أنّهم اتّبعوا العقائد المحوريّة لدياناتهم – وفقًا لهذا الردّ – لما كانوا ارتكبوا تلك الأُمور الفظيعة.

خذوا مثال الحروب الصليبيّة. وفقًا للمؤرّخ المسيحيّ البارز جون وودبريدج[1]:

«إنّ هذا يعيدنا إلى الفرق بين الأُمور التي تمّ ارتكابها باسم المسيح والأُمور التي تمثّل حقًّا تعاليم يسوع. عندما تحاول أن تجمع بين تعاليم يسوع ومجازر الصّليبيّين – بالتّأكيد لا يمكن التّوافق بين الأمرين»[2].

إذن ما ينبغي لهاريس أن يدعمه [بالأدلّة] ليس المقدّمة الأُولى كما مرّ، وإنّما مقدّمة أُخرى تختلف بشكل جوهريّ:

(١*) إنّ من يتصرّف باسم التّعاليم الأصيلة لدينه قد سبّب ضررًا ومعاناة فظيعة عبر التّاريخ.

وفي الوقت نفسه، يمكن للمتديّن أن يقول بأنّ هاريس افترض هذا الادّعاء فقط:

(١**) إنّ من يتصرّف باسم التّعاليم المنحرفة وغير الأصيلة لدينه قد سبّب صررًا ومعاناة فظيعة عبر التّاريخ. لنسمّي هذا الردّ: «ردّ التّعويج الدّينيّ[3]»[4].

---

1. John Woodbridge

٢. كما نُقِل في: Strobel, The Case for Faith, 206.

3. religious distortion response

٤. لمزيد من المناقشة ذات الصلة، انظر:

Strobel, The Case for Faith, chapter seven; Ward, Is Religion Dangerous?; McGrath, "Is Religion Evil?", 125; and McGrath and McGrath, The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine, 76-77, 81.

يتم تقديم «تحدي» لمقدمة (١)، وليس في معنى إظهار أنها غير صحيحة، بل في معنى أنها مقدمة يمكن

هل يعدّ هذا الردّ قويًّا؟ من الصّعب معرفة ذلك ما لم نستمرّ في دراسة كلّ ديانة على حدّة والنّظر في كلّ ضرّر فظيع على حدّة لنرى ما إذا كانت التّعاليم الأصيلة للدّيانة مسوّغة للأضرار التي تمّ ارتكابها أم لا. فمثلًا بالنّسبة إلى محاكم التفتيش[1] يكتب هاريس أنّ الكنيسة نجحت في تحويل رسالة يسوع المحوريّة التي تدعو إلى مودّة الجيران والسّكوت عن الظّلم، إلى مذهب قتل ونهب[2]. هذا مثال جيّد على ردّ التّعويج الدّينيّ المطبّق بالنّسبة إلى المسيحيّة. لذلك يبدو غريبًا أنّ هاريس نفسه يذكره. ولكن هاريس يستمرّ في الادعاء بأنّه على الرّغم من أنّ الاضطهاد وعدم التّسامح قد لا يكونا جزءًا من رسالة يسوع الفعليّة، إلّا أنّهما سيكونان نتيجة حتمية لتلك الرّسالة.

ماذا يجب أن نفهم من هذه النّقاط حول الإسلام والمسيحيّة؟ بصراحة، ليس لديّ الكفاءة الكافية للتّعليق على ما يقوله هاريس عن الإسلام. ولكن بصفتي مسيحيّة ملتزمة، دعوني أقول بعض الأُمور المختصرة على الأقلّ عن تلك الملاحظات. أوّلًا، ليس واضحًا على الإطلاق ما إذا كان المسيحيّون في موقف مناسب لمعرفة من «سيحترق للأبد» ومن لن يحترق للأبد. إنّها قاعدة معترف بها على نطاق واسع في المسيحيّة أنّ الله وحده يعلم ما إذا كان أحد الأشخاص مخلصًا. وعلاوة على ذلك، فإنّ الافتراض الّذي يعتبر غاية في الاستبداد هو الاعتقاد بأنّنا يمكننا فحص قلب إنسان آخر وإصدار مثل هذه الأحكام هنا في هذه الحياة.

حتى لو كنّا بالفعل قادرين على ذلك، يصعب تصوّر الدّاعي – استنادًا إلى

للموحدين أن يعترفوا بأنها صحيحة، دون ممارسة أي ضغط عليهم للتخلي عن إيمانهم. تشكرات خاصة لأندرو مون (Andrew Moon) على تشجيعي للتوضيح هنا.

1. Inquisition

2. Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 85.

تعاليم يسوع – لأن نظنّ أنّه من حقّ أيّ مسيحيّ (أو، من مسؤوليّاته، وهذا ادّعاء أسوأ) أن يقتل الكافر [بديانته]. يبدو أنّه من المتهوّر جدًّا أن نعتقد بأنّه يجب أن نتّخذ دورًا لم يُعطى للبشر من قِبل الله. في المقابل، إنّ رسالة يسوع واضحة في أنّ المسيحيّين يجب أن يحبّوا جيرانهم كأنفسهم، على أنّ عنوان «الجار» يشمل كلّ إنسان سواء كان من المؤمنين أو الكافرين. فكيف يمكن أن يكون المسيحيّ محبًّا لجاره إذا ما أحرقه بتهمة البدعة؟

بالفعل، من طبع هذه القضايا أنّها معقّدة ولا يمكن حلّها في بضع فقرات موجزة. ولكن لتلخيص الأُمور، يبدو أنّ الاستجابة الأولى لحجّة الأضرار الدّينيّة واعدة إلى حدّ ما. على الأقل في حالة المسيحيّة، وربّما جميع الأديان الموحّدة الثّلاث الرّئيسيّة، تكون المعاناة التي حصلت باسمه مغايرة للرّسالة الحقيقيّة المضمّنة في تعاليمه الأساسيّة.

٤. تحدّي ثانٍ للمقدّمة الأولى: الأضرار العلمانيّة

قبل أن ننتقل إلى المقدّمة الثّانية لحجة الأضرار الدّينيّة، هناك ردّ آخر على المقدمة الأولى. إنّ هذا الردّ يقرّ بأنّ النّاس قد تسبّبوا بالكثير من الأضرار على مرّ التّاريخ باسم معتقداتهم الدّينيّة ولكنّه يشير إلى أنّ النّاس الذين تصرّفوا باسم الأيديولوجيّات العلمانيّة تسبّبوا بأضرار متساوية إن لم نقل أكثر، خاصّة في السّنوات الأخيرة. يمكن تسمية هذا الردّ بـ «ردّ الأضرار العلمانيّة[1]»[2].

توجد أمثلة كثيرة في القرن العشرين على مثل هؤلاء الذين نشأوا إلى السّلطة

1. secular harms response

٢. لمناقشات ذات صلة في هذا السياق، انظر:

Strobel, The Case for Faith, 216-217; McGrath, "Is Religion Evil?", 126-129; McGrath and McGrath, The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine, 77-79.

ثمّ، باسم فلسفتهم العلمانيّة، سبّبوا معاناة هائلة مثل معسكرات الاعتقال والثّورات الثّقافيّة أو معسكرات العمل الجبريّ أو [عمليّات] التّطهير العرقيّ. إليك تقديرات بعض إجماليّات القتل النّاتجة عن قادة غير دينيّين:

ماو زيدونج	٤٥ مليون قتيل[١]
ستالين	٢٠ مليون قتيل[٢]
هتلر	١٨ مليون قتيل[٣]
بول بوت	١,٧ مليون قتيل[٤]

النّازيّة والستالينيّة والماويّة هي جميعها فلسفات علمانيّة تمّ تطبيقها بهذه الطريقة.

لنطوّر هذه الفكرة درجة إضافيّة. بناءً على بيانات مثل هذه الإحصائيّات للقتلى، يمكننا فعلًا أن نأخذ دعوى الأضرار الدّينيّة ونعكسها لإنشاء دعوى الأضرار العلمانيّة:

(٨١) الذين تصرّفوا باسم الايديولوجيّات العلمانيّة تسبّبوا، بالحدّ الأدنى، بضرر ومعاناة على مرّ التّاريخ يساوي ذلك الذي تسبّب به الذين تصرّفوا باسم الدّين، إن لم يكن يفوقه.

(٨٢) جاء التّفكير العلمانيّ بالكثير من المساهمات الجيّدة للبشريّة إلّا أنّه في

1. Dikötter, Mao's Great Famine: The History of China's Most Devastating Catastrophe.

2. Conquest, The Great Terror: A Reassessment.

3. United States Holocaust Memorial Museum's Holocaust Encyclopedia ,www.ushmm.org/wlc/en/article.php?ModuleId=10008193. Accessed August 52016 ,,.

4. Yale University Cambodian Genocide Program, http://gsp.yale.edu/case-studies/cambodian-genocide-program. Accessed August 5, 2016.

معظم الأمر يمكن لتلك المساهمات أن تُقدّم من قبل أُناس يتبنّون بعض أساليب التّفكير الدّينيّ.

(٨٣) لذا فإنّه يُفضّل أن يتخلّى الجميع عن أساليب التّفكير العلمانيّ وأن يتمّ اعتماد بعض أساليب الفكر الدّينيّ كبديل.

وبطبيعة الحال، تكون «بعض» الأساليب للفكر الدّينيّ هي التي تعارض القتل الجماعيّ والسّلوكيّات المحظورة أخلاقيًّا التي كانت شائعة في القرن العشرين.

ماذا يجب أن نفهم من ردّ الأضرار العلمانيّة؟ في الظّاهر، يبدو أنّ هذا الردّ سيتسبّب ببعض المشكلات لهاريس وأمثاله. كيف لا وإذا تبيّن أنّ سجلّ السّلوك الأخلاقيّ لأساليب التّفكير العلمانيّ سيّء إلى حدّ يساوي أو يفوق سجلّ السّلوك الأخلاقيّ عند الفكر الدّينيّ، فإنّه سوف يصعب تصوّر كون دعوى الأضرار الدّينيّة مقنعة. في أفضل الحالات، يمكن لهاريس أن يرضى بنتيجة تعادل مع نظيره المتديّن. وفي أسوأ الحالات، تكون البشريّة أفضل فيما لو تبنّينا أساليب معيّنة من التّفكير الدّينيّ.

في خاتمة كتابه «نهاية الإيمان»، يتناول هاريس هذه القضايا مباشرة. ويجدر الاقتباس ممّا قاله بالتّفصيل:

«في حين أنّ بعض أشدّ الحركات السّياسيّة البغيضة في تاريخ البشريّة كانت لادينيّة بوضوح، إلّا أنّها لم تكن عقلانيّة بشكل خاص. إنّ الخطوط العامّة لهذه الأنظمة كانت مجرّد سلسلات من الوهم – عن العرق والاقتصاد والهويّة الوطنيّة ومسار التّاريخ أو المخاطر الأخلاقيّة للعقلانيّة. أوشفيتز ومعسكرات الغولاغ[1] والحقول القتليّة ليست نماذج من نتيجة ازدياد النّاس انتقادًا للمعتقدات غير

1. the gulag

المبرّرة. بل على العكس، هذه الفظائع تشهد على مخاطر عدم التّفكير بشكل نقدي كافٍ في بعض الأيديولوجيّات العلمانيّة. لا حاجة للتّوضيح إنّ حُجّتي ضدّ الإيمان الدّينيّ ليست حُجّة للانغماس الأعمى في الإلحاد كعقيدة»[1].

هذا منطقيّ للغاية. إنّ الملحد ليس مضطرًّا أن يتسامح مع أيّ أو كلّ الفلسفات العلمانيّة الموجودة هناك اليوم. يمكن للملحد بل يجب عليه الانضمام إلى المؤمنين الدّينيّين في إدانة النّازيّة والسّتالينيّة والماويّة. الفلسفات العلمانيّة الوحيدة التي ينبغي للملحد أن يأخذها بعين الاعتبار هي التي تكون عقلانيّة ومعقولة.

هذا محلّ اتّفاق. ولكن بمجرّد أن يصرّح هاريس بذلك، يكون قد كشف اللّعبة، إذ أنّه يمكن للمؤمن المتديّن أن يقدّم نفس الإجابة تمامًا على حجّة الأضرار الدّينيّة. حينئذٍ سيصرّ المؤمن المتديّن، وله الحقّ، أنّ الدّيانات ليست متساوية من حيث العقلانيّة بالطّبع. كما أنّه في نفس الوقت، ليست كلّ نسخات دين معيّن كالمسيحيّة مثلًا متساوية من حيث العقلانيّة. النّسخات التي تقبل بالمحاكم الكنسيّة مثلًا تقع خارج حدود العقلانيّة. أي كما قيل بالنّسبة إلى الملحد والنّازيّة، كذلك المسيحيّ والمحكمة الكنسيّة – المناهج الوحيدة التي ينبغي أن يُعتدّ بها هي التي تكون منطقيّة وعقلانيّة. وهذا يتيح لنا مراجعة المقدّمة الأُولى بشكل أدقّ، فبناء على ما قمنا به من مراجعة في القسم السّابق، نصل الآن إلى التّالي:

(١٪) الذين يتصرّفون باسم التّعاليم الفعليّة لدينهم والتي هي عقلانيّة وقابلة للتّبنّي قد تسبّبوا بأضرار ومعاناة فظيعة عبر التّاريخ.

لكن بالنّسبة إلى المسيحيّة، من الصّعب فهم كيف لهذه المقدّمة أن تُعدّ معقولة بعد ما ذُكر[2]. بعبارة أُخرى، من الصّعب ملاحظة كيف أنّ المسيحيّين الذين

1. Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 231, التأكيد من صاحب النص.

٢. ليس لدي القدرة على تقييم مثل هذا البيان (١٪) بالنسبة لليهودية والإسلام. سيقدم علماء هذه الديانات

يتصرّفون وفقًا للتّعليم الأصيل والمعقول لمحبّة جارهم مثل أنفسهم، على سبيل المثال، كانوا سيحدثون (عن قصد) ضررًا ومعاناة رهيبة[1].

في الواقع، يبدو أن العكس هو الصّحيح. يقدّم جون وودبريدج توضيحًا لطيفًا لما يمكن أن يبدو عليه اتباع تعاليم يسوع الأصليّة:

«من تفاسير انتشاره السّريع [...] أنّ العديد من المسيحيّين لم يكونوا يعتنون بأنفسهم فحسب، بل كانوا يعتنون بالجيران والفقراء والأرامل والمتألّمين، وبالجملة كانوا ودودين للغاية. أظهروا التّعاطف مع الاطفال الذين غالبًا ما عوملوا بقسوة شديدة من قِبل الرّومان واليونانيّين عند الولادة، وخاصّة البنات الصّغيرات. كان نمط حياة المسيحيّين مطابقًا لتعاليمهم، حتى أنّ كثيرًا من المسيحيّين الأولين لم يخافوا أن يقولوا: «اقتدوا بنا كما نقتدي بالمسيح»»[2].

أنا لست مؤرّخةً وسأعتمد على كلمة وودبريدج حول هذا الموضوع. لكنّه يتردّد صداه مع ما أتوقّع أن أجده من المسيحيّين الذين يتّبعون بالفعل تعاليم يسوع.

وخلاصة القول في المقام أنّنا قد رأينا للتو ردًّا ثانيًا يمكن تقديمه ضدّ المقدّمة الأُولى لحجّة الأضرار الدّينيّة. يجب أن نوافق على أنّه قد تكون هناك أساليب علمانيّة للتّفكير حول الأخلاق، تحسن دفع الضّرر والمعاناة. لكن مرّة أُخرى، يُحتمل انطباق الشّيء نفسه على النّظرات الدّينيّة المعقولة.

بالتأكيد الكثير من التعليقات حول هذا الادعاء.

١. لإنصاف القول، ينبغي الإشارة إلى أنه سيكون من الصعب أحيانًا تحديد أيّ من التعاليم الأصيلة يمكن اعتباره «معقولًا» للتبنّي. وقد تكون هناك حالات نتساءل فيها عما إذا كان هناك تعليم أصيل ولكنه غير معقول للتبنّي، أو تعليم معقول للتبنّي ولكنه غير أصيل. شكرًا هنا لديفيد هوليداي.

٢. نقل في:

Strobel, The Case for Faith, 203.

٥. تحدّي المقدّمة الثانية: الدّراسات التّجريبيّة

حـان الوقت للانتقال إلى المقدّمـة الثّانية. دعونا نتذكّـر أوّلًا ما تقوله تلك المقدّمة:

(٢) الذين يؤمنون بالدّين قد قدّموا العديد من الإسهامات الجيّدة للبشريّة، إلّا أنّ في معظم الحالات يمكن أيضًا أن يتمّ تحقيق تلك الإسـهامات الجيّدة عن طريق الأشخاص الذين يتبنّون وجهات نظر علمانيّة

كيف يجب أن نفهم هذا الادّعاء؟

أقول: هذا صحيح، لكنّه غير مثير للاهتمام. نعم، من الممكن أن تساهم بعض منهجيّات التّفكير العلمانيّ بنفس القدر التي تساهم فيه منهجيّات التّفكير الدّينيّ. لكن وضع المعيار عند ما هو «ممكن» هو في الواقع وضعه في مكان منخفض جدًّا. الأُمور الممكنة كثيرة جدًّا، ومنها أن أصبح رئيسة الولايات المتّحدة.

بتقديـري، إنّ الذي يسـعى إليه الملحـدون الجدد حقًّا هو شيء يشـبه أكثر الادّعاء التّالي:

(٢*) المؤمنون المتديّنون قد قدّموا العديد من المساهمات الجيّدة للبشريّة، ولكن في معظم الأحيان، نفس تلك المساهمات الجيّدة ستتمّ – من حيث المعدّل – إلى الحدّ ذاته تقريبًا من قبل الأشخاص الذين يعتمدون على النّهج العلمانيّ (العقلانيّ).

هـذا ادّعاء أقوى بكثير. بهذا الشّـكل لا يدور الأمر مدار ما هو ممكن فقط، وإنّما يدور مدار ما سـيحدث فعـلًا. إذا تبيّن أنّ هذا الادّعـاء الجديد صحيح، فسيكون ذلك انتصارًا كبيرًا لأنصار دعوى الأضرار الدّينيّة.

عبـارة «من حيث المعـدّل» في الفقـرة (٢*) مهمّة. فهـي لا تدّعي أنّ كلّ شـخص يعتنق طريقة علمانيّة للتّفكير سيقدّم مساهمات أفضل من كلّ شخص متديّن. هذا ادّعاء سـخيف. بـل إنّ هذه النّقطة تتعلّق باتّجاهات على مسـتوى

السّـكّان؛ فمن حيث المعدّل، هل سـيكون المجتمع الـذي يتبنّى ويطبّق مناهج التّفكير العلمانيّ والعقلانيّ أسوأ حالًا من مجتمع مشابه فيه المتديّنين الملتزمين؟

فمع انتقال تفكيرنا الآن إلى (٢*)، ماذا يجب أن نفهم من هذه المقدّمة؟

بقدر ما تسـتطيع، ينبغي تقييم المقدّمة عبر الدّراسات التّجريبيّة. على سبيل المثال، قد تركّز الدّراسـة على مسـاهمة واحـدة جيّدة، مثل معـدّلات التّطوّع، وتقارن سلوك عيّنة كبيرة من المؤمنين المتديّنين بسلوك عيّنة كبيرة من اللّادينيّين العلمانيّـين. كـما يمكن أن تقارن دراسـات أُخرى معـدّلات التّبرّعات الخيريّة والسّلوك الإجراميّ وطول العمر وما إلى ذلك. ويمكن إجراء تقييم جماعيّ على أساس دراسة جميع الدّراسات ذات الصّلة معًا.

من اللّافت أنّ الملحدين الجدد ومنهم هاريس لم يتناولوا الدّراسات التجريبية، مع أنّه يوجد عشرات الأبحاث المتعلّقة بهذا الموضوع في مجالات كعلم الاجتماع والاقتصاد والصّحة وعلم النّفـس. دعونا نلقي نظرة سريعة مع الاعتراف بأنّ المناقشة السّليمة تتطلّب كتابًا لتحليل نتائجها بعناية[1].

٥-١) منع الجرائم

باسـتخدام الموجة الأولى من المسـح الوطنيّ العوائل والأُسر[2]، وجد إليس وأندرسـون (٢٠٠١) اسـتنادًا إلى التّقارير الذّاتيّة أنّ زوجـات الرّجال الذين يحـضرون القدّاس الدّينيّ مرةً واحدة في الأسـبوع أو أكثر يبلّغن عن معدّلات عنف منزليّ أقلّ بنسبة ٤٨,٧٪ من تلك التي أبلغت عنها زوجات أولئك الذين

١. المواد التي تلي هذا الاستعراض لهذه الدراسات تم نشرها مرة أخرى من خلال كتاب ميلر ٢٠١٢ بإذن من جامعة أكسفورد.

2. National Survey of Families and Households

لا يحضرون[١]. في دراسة أُخرى، ارتبط الحضور الدّينيّ بانخفاض الأداء المبلّغ عنه ذاتيًّا لـ ٤٣ جريمة مختلفة[٢]. وأظهرت الأبحاث في علم الاقتصاد وجود علاقة سلبيّة بين مختلف مقاييس التّديّن ومعدّلات الجريمة المحليّة[٣].

٥-٢) التّعليم

قام ريجنيرس وإلدر[٤] (٢٠٠٣) بدراسة العوامل الّتي تتنبّأ بما إذا كان الطّلّاب سيظلّون أكاديميًّا «على المسار الصّحيح»، قياسًا بواسطة المعدّل التّراكمي للدّرجات[٥]، وإتمام الواجبات المدرسيّة، والتّفاهم مع المعلّمين، والإيقاف[٦]، والتّعليقات[٧]، والغياب غير المبرّر. وجدوا علاقة إيجابيّة ملحوظة بين حضور الكنيسة والبقاء على المسار الصّحيح، خاصّة في الأحياء التي تحتوي على نسبة عالية من الفقراء. حسبما يقولون، «مع زيادة مدى الفقر في الأحياء، تصبح العلاقة بين حضور الكنيسة والتّغيّر في السّلوك على المسار الصّحيح أكثر إيجابيّة»[٨].

---

١. للنتائج المماثلة، انظر:

Fergusson et al., “Factors Associated with Reports of Wife Assault in New Zealand”; Ellison, Bartkowski, and Naderson, “Are There Religious Variations in Domestic Violence?”.

2. Evans et al., “Religion and Crime Reexamined: The Impact of Religion, Secular Controls, and Social Ecology on Adult Criminality”.

٣. انظر، على سبيل المثال:

Lipford, McCormick, and Tollison, “Preaching Matters”; Hull and Bold., “Preaching Matters: Replication and Extension”; Hull, “Religion Still Matters”

4. M. Regnerus and G. Elder

5. grade point average

6. expulsion

7. suspension

8. Regnerus and Elder, “Staying on Track in School: Religious Influences in High- and Low-Risk Settings”, 644.

دراسة أُخرى وجدت أنّ المشاركة في الأنشطة الدّينيّة «مقرونة بتوقّعات تعليميّة أعلى للوالدين في السّنتين التّاليتين، واتّصال أكبر مع الوالدين حول التّعليم، واعتماد الدّروس المتقدّمة في الرّياضيّات، والقيام بالواجبات المدرسيّة، وإتمام درجات الدّراسة بنجاح، بالإضافة إلى تجنب الغياب عن الفصول الدّراسيّة»[١]. وهذه ليست الدّراسات الوحيدة التي تشير إلى ذلك[٢].

٥-٣) الفوائد الصّحيّة

وجدت دراسة أجراها رايت وزملاؤه في عام ١٩٩٣ أنّ الطّلّاب الذّكور الذين تمّ تقييمهم بأنّ لديهم انخفاض في الدّعم الرّوحانيّ والذين لم يحضروا الأماكن الدّينيّة للعبادة بشكل متكرّر سجّلوا أعلى بمرّتين على مقياس بيك للاكتئاب[٣] من الذين كانوا يحضرون بتكرار ولديهم دعم روحانيّ عالي.

ويقدّم بنجامينز[٤] وزملاؤه في عام ٢٠٠٦ مثالًا آخر يختلف تمامًا حيث وجدوا أنّ ٧٥٪ من أصل ١٠٧٠ امرأة بريسبيتاريّة[٥] أجرين فحصًا للثّدي في السّنتين الماضيتين، مقارنة بالمتوسّط الوطنيّ البالغ ٥٦ في المائة لنفس الفئة العمريّة.

وترتبط مقاييس متعدّدة للتّديّن أيضًا بشكل كبير بتقليل معدّلات الانتحار، وتقليل استخدام المخدّرات، وزيادة استخدام العناية الصّحيّة، وتقليل سوء

---

1. Ibid.

٢. انظر، على سبيل المثال:

Regnerus, "Shaping Schooling Success: Religious Socialization and Educational Outcomes in Urban Public Schools"; Elder and Conger, Children of the Land: Adversity and Success in Rural America.

3. Beck Depression Inventory scale

4. Maureen R. Benjamins

5. Presbyterian

اســتخدام الكحول، ونمط حياة أكثر صحّة، وتعزيز الصّحّة النّفســيّة، وحتى معدّلات الوفيّات[١].

٥-٤) الرّفاهيّة الشّخصيّة[٢]

وجد إليســون[٣] (١٩٩١) أن اليقين الدّينيّ يترافــق مباشرة مع زيادة الرضا عن الحياة حســب ما يُبلِغ عنه الأفراد بأنفســهم، والّذي تمّ تقسيمه إلى الرّضا عن الحياة الاجتماعيّة، والأنشطة أو الهوايات غير المهنيّة، وحياة العائلة، والصّداقات، والصّحة.

وجدت دراســات أخرى أنّ الدّين كان يســاعد على تحديد الرّفاهيّة الشّخصيّة بقدر ما تساعد في ذلك الحالة الزّوجيّة وحالة العمل والتّعليم،[٤] وأنّ مختلف مقاييس التّديّــن كانت مرتبطة بالرضا عن الحياة عندما يتعلّق الأمر بالرّضا عن حياة العائلة والأمور الماليّة والصّداقات والصّحة حسب ما يُبلِغ عنه الأفراد بأنفسهم[٥]. أظهرت الدراسات الأكثر تحديدًا ارتباطات مماثلة مع زيادة الدّعم الاجتماعيّ[٦] ومع الرضا عن الزّواج والتّكيّف معه[٧].

---

١. للمَراجع، انظر: Miller, "Atheism and the Benefits of Theistic Belief".

للحصول على نظرة عامة على العلاقة الإيجابية بين الدين والصحة، انظر:

Koenig, McCullough, Larson, The Handbook of Religion and Health; VanderWeele, "Religious Communities and Human Flourishing".

2. subjective well-being

3. Christopher G. Ellison

4. Witter et al. "Religion and Subjective Well- Being in Adulthood: A Quantitative Synthesis".

5. Ellison, Gay, and Glass, "Does Religious Commitment Contribute to Individual Life Satisfaction?".

6. Ellison and George, "Religious Involvement, Social Ties, and Social Support in a Southeastern Community".

7. Hansen, "The Effect of Religiosity on Factors Predicting Marital Adjustment";

٥-٥) العمل الخيريّ

باستخدام بيانات من استبيان معياري عن رأس المال الاجتماعي في المجتمع[1]، وجد بروكس (٢٠٠٦) أنّ الذين حضروا بانتظام الخدمات الدّينيّة كانوا أكثر تبرّعًا بنسبة 25٪ على الأقلّ من أولئك الذين حضروا نادرًا أو قالوا أنّهم لادينيّين (91-66٪). كما كانوا أكثر بنسبة 23٪ على الأقلّ في التّطوع (44-67٪). في عام ٢٠٠٠، قدّموا من المال ما يفوق أولئك بنسبة 350٪ (٢،٢١٠ دولار مقابل ٦٤٢ دولار) وقدّموا التّطوّع أكثر منهم بمرّتين (١٢ مرّة مقابل ٨,٥ مرّة). وُجدت نتائج مماثلة عند استخدام مقاييس أُخرى للتّديّن، مثل تكرار الصّلاة وشدّة الرّوحانيّة، ومجرّد الانتماء إلى جماعة دينيّة، بغضّ النّظر عن معدّل الحضور. امتدّت هذه الاتّجاهات إلى أشكال أُخرى من الأعمال الخيريّة:

«في عام ٢٠٠٢، كان الأشخاص المتديّنين أكثر احتمالًا بكثير من العلمانيّين في التّبرّع بالدّم منهم، كما في تقديم الطّعام أو المال للمشرّدين، وإعادة النّقود التي أُعطيت لهم عن طريق الخطأ من قبل أمين الصّندوق[2]، والتّعبير عن التّعاطف مع الأشخاص الأقلّ حظًّا. وكان الأشخاص المتديّنين أكثر بنسبة 57٪ من العلمانيّين في مساعدة مشرّد على الأقلّ مرّة واحدة في الشّهر».[3]

Dudley and Kosinski, "Religiosity and Marital Satisfaction: A Research Note".

1. the Social Capital Community Benchmark Survey

2. Cashier

3. Brooks, Who Really Cares, 39.

للدراسات الإضافية حول التبرعات، انظر:

Hoge et al., Money Matters: Personal Giving in American Churches; Regnerus, Smith, and Sikkink 1998.

وللتطوع، انظر:

Park and Smith, "'To Whom Much Has Been Given . . .': Religious Capital and

هذه مجرّد نظرة عابرة، فأنّ مئات الدّراسات الأُخرى غير التي أوردناها هاهُنا قد نُشرت مؤخّرًا في المجلّات العلمية المحكَّمة وتظهر أنماطًا مماثلة. إذن ما المستفاد من مجموع هذه الدّراسات بالنّسبة إلى المقدّمة (٢*)؟ بعبارة أُخرى، هل تعطينا البيانات التي تمّ استعراضها هنا سببًا وجيهًا للاعتقاد بأنّ المجتمعات العلمانيّة – من حيث المعدّل – ستقدّم نفس المساهمات الجيّدة تقريبًا مثل المجتمعات المتدينة؟

قبل الرّد على هذا السّؤال، دعوني أشير إلى بعض التّعقيدات. أوّلًا، مقتضى الإنصاف أن نعترف بوجود بعض الدّراسات التي لم تبيّن نفس الاتّجاهات التي ذكرناها الآن[1]. ثانيًا، العديد من هذه الدّراسات تستخدم أساليب استبيانيّة تعتمد على تقارير الأشخاص عن أنفسهم. ولكنّنا جميعًا نعلم أنّ تقارير الأشخاص عن أنفسهم قد تكون معرّضة لتأثير التّحيّزات والتّشويشات المختلفة. وأخيرًا، معظم المشاركين في هذه الدّراسات من الولايات المتّحدة. يجب النّظر في ما إذا كانت نماذج مماثلة تظهر في دول أُخرى أيضًا.

ومع ذلك، حتى مع هذه التّوجيهات، فإنّه من الواضح أنّ البيانات التّجريبيّة ككلّ لا تقدّم دعمًا للمقدّمة (٢*). بل على العكس، إنّ الاتّجاه السّائد هو أنّ التّديّن يتنبّأ بشكل أفضل بالمساهمات في النّتائج الإيجابيّة. لذلك يبدو أنّه استنتاجًا سليمًا أن نقول – نظرًا للبيانات الّتي نمتلكها حتّى الآن – أنّ هناك أساسًا تجريبيًّا ضئيلًا

Community Voluntarism Among Churchgoing Protestants".

١. على سبيل المثال، لم تجد المقالة التالية اختلافات كبيرة في العنف الأسري في دراسة للمشاركين الكنديين:
Brinkerhoff, Grandin, and Lupri, "Religious Involvement and Spousal Violence: The Canadian Case".

ولم تجد المقالة التالية اختلافًا في معدلات فحص سرطان الثدي باستخدام عينة تعتمد على الكنيسة من نساء لوس أنجلس:
Fox et al. 1998. "Breast Cancer Screening Adherence: Does Church Attendance Matter?"

للمقدّمة (٢*). يمكننا أن نسمّي هذا الرّدّ: «ردّ الدّراسات التّجريبيّة[1]».[2]

من المهمّ ملاحظة، مع ذلك، أنّ هذا يختلف عن القول بأنّ هذه النّتائج التّجريبيّة تثبت أنّ المقدّمة غير صحيحة بالفعل. بمعنى آخر، غياب الأدلّة على هذه المقدّمة لا يعني [بالضّرورة] أنّ هناك أدلّة على عدم صحّتها.

لم لا نحكم ببطلان مقدّمة (٢*) رأسًا؟ لأنّ الدّراسات تكون ذات علاقة ترابطيّة وليست سببيّة. لذا حتى إذا كان التّديّن مقرونًا، على سبيل المثال، بأسلوب حياة أكثر صحّة، فإنّ ذلك لا يلازمه شيء بالنّسبة إلى كون المعتقدات الدّينيّة هي سبب لأسلوب حياة أكثر صحّة[3]. يمكن أن يكون بدلًا من ذلك أنّ الأشخاص الملتزمون بالفعل بهذا النّمط من أسلوب الحياة يميلون إلى الانجذاب نحو الدّيانة.

ومع ذلك، أعتقد أنّه من الممكن جدًا أن يكون هناك تأثير سببيّ قويّ من قبل الالتزامات الدّينيّة للفرد على النّتائج الإيجابيّة. خذوا، على سبيل المثال، البيانات حول التّبرّعات الخيريّة. يجب أن نعترف جميعًا بأنّ الأشخاص المتديّنين ربما هم أسبق إحسانًا – من حيث المعدّل – من الأشخاص غير المتديّنين. ولكن سأتفاجأ إذا لم يكن اتّجاه التّأثير يسير في الاتّجاه الآخر، أي من الالتزامات الدّينيّة إلى العمل الخيريّ. أو ربما يسير السّهم السّببيّ في كلا الاتّجاهين.

فيما يتعلّق بالمسيحيّة، على سبيل المثال، يمكن أن يفعل أسبوعٌ عاديّ في حياة المؤمن الكثير لتعزيز أهمّيّة مساعدة الآخرين. قد تقف قارئة الكتاب المقدّس عبر

1. empirical studies response

٢. للنقاش ذات الصلة، انظر:

Ward, Is Religion Dangerous?: chapter nine; McGrath and McGrath, The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine, 92-94; Miller, "Atheism and the Benefits of Theistic Belief".

٣. بالنسبة لبعض الإشارات الأولية للسببية، انظر:

VanderWeele, "Religious Communities and Human Flourishing".

حثّها على محبّة جارتها كما تحبّ نفسها أو عبر الأمثال مثل السّامريّ الصّالح. من خلال الصّلاة، يمكن أن يتمّ إعادة توجيه المسيحيّ نحو الخارج، بعيدًا عن نفسه. في الكنيسة، يُطلب منه في كل أسبوع أن يعطي، ليس فقط مالًا للكنيسة على شكل تقديمات نقديّة، ولكن أن تقدّم كذلك وقته وموارده وبشكل عامّ: نفسه. بالإضافة إلى ذلك، قد تكون هناك فعاليّة تواصل مع الكنيسة أو توقّعات بالتّنصيب أو ضغوط تكييف للتّبرّع عندما يقوم الجميع بالتّبرّع. من الصّعب تصوّر أنّ شخصًا يمارس مثل تلك الأنشطة لأسابيع متتالية ولعقود من الزّمن لن يتأثر أو يتشكّل سلوكه في العطاء تبعًا لالتزاماته الدّينيّة.

ما طبّقناه على العمل الخيريّ ينطبق باعتقادي على جميع النّتائج المذكورة سابقًا. وبعبارة أُخرى، يمكننا رسم مسار سببيّ معقول، من الالتزامات الدّينيّة إلى تعزيز النّتائج الجيّدة، على الأقلّ فيما يتعلّق بالأنماط العقلانيّة من الاعتقادات الايمانيّة[١]. ولكنّ اقتراح النّموذج شيء، وتقديم دليل تجريبيّ لدعمه شيء آخر.

وبالجملة، يبدو أنّ أفضل نسخة من حجّة الأَضرار الدّينيّة ستعتمد على شيء قريب من المقدّمة الجديدة (٢*). ولكن عندما ننظر فعليًّا إلى البيانات التّجريبيّة ذات الصّلة بهذه المقدمة، نجد دعمًا ضئيلًا جدًّا له. الملحدون الجدد هم من يقدّمون حجّة الأضرار الدّينيّة. لذا يقع العبء على عاتقهم لتقديم دعم لمقدّمات الحجّة. وحاليًّا، لم يتمّ توظيف هذا العبء بعد.

٦. بعض الأفكار النّهائيّة

في هذا الفصل، نظرنا بتفصيل إلى حجّة الأضرار الدّينيّة ووضّحنا ما أعتبره

---

١. بالنسبة لشرح مفصل لكيفية يمكن للدين أن يؤدي إلى تعزيز النتائج الجيدة، انظر:
Smith, "Religious Participation and Parental Moral Expectations and Supervision of American Youth"; and "Theorizing Religious Effects among American Adolescents".

الاستراتيجيّات الثّلاثة الأهمّ الدّاعية للشّكّ فيها. في هذه العمليّة، رأينا أيضًا أنّ هناك عدّة أشكال لهذه الحجّة. في الواقع، قمنا تدريجيًّا بتغيير المقدّمات الأصليّة (١) و (٢) واستبدلناها بمقدّمات معدّلة، والتي يجب أن تخدم أغراض الملحدين الجدد الذين يودّون استخدام هذا الخطّ التحليليّ.

النّتيجة هي حجّة الأضرار الدّينيّة المعدّلة على النّحو التّالي:

(١*) الأشخاص الّذين يتصرّفون باسم تعاليم ديانتهم الأصيلة والعقلانيّة للاعتناء بها تسبّبوا بأضرار ومعاناة فظيعة على مرّ العصور.

(٢*) المؤمنون المتديّنون قد قدّموا العديد من المساهمات الجيّدة للبشريّة، ولكن في معظم الأحيان، نفس تلك المساهمات الجيّدة ستتمّ - من حيث المعدّل - إلى الحدّ ذاته تقريبًا من قبل الأشخاص الذين يعتمدون على النّهج العلمانيّ (العقلانيّ).

(٣) لذلك، سيكون من الأفضل إذا قام الجميع بالتّخلّي عن الإيمان الدّيني واعتماد طريقة تفكير علمانيّة.

ولكن بالنّظر إلى هذه النُّسخ المعدّلة، يتبيّن أنّ (١*) يثير جدلًا كبيرًا، وأنا أرجّح على الأقل في حالة المسيحيّة أن يكون ذلك غير صحيح. بالإضافة إلى ذلك، الأدلّة الدّاعمة قليلة جدًا من جهة التّجربية لـ(٢*)، حيث تجد الدّراسات البحثيّة ترابطات تسير في الاتّجاه المعاكس بالضّبط لتلك الّتي تحتاجها الحجّة. لذلك في الوقت الحالي، استنتاجي العامّ هو أنّ حجّة الأضرار الدّينيّة، على الأقل في النُّسخ المختلفة التي رأيناها في هذا الفصل، لا تشكّل تحدّيًا جادًّا للاعتقاد الايمانيّ.

دعونا نختم بأخذ بعض أفكار هذا الفصل في اتّجاه جديد. لقد أوضح الملحدون الجدد أنّهم يسعون لتحويل النّاس إلى مذهبهم. كمبشّرين علمانيّين، أحد أهدافهم الرئيسية هو جذب الأشخاص للتّخلّي عن التزاماتهم الدّينيّة والانضمام إلى طرف الإلحاد. كما اشتهر عن ريتشارد دوكنز أنّه

قال في كتاب «الوهم الإلهيّ»: «إذا نجح هذا الكتاب كما هي نيّتي، فإنّ القرّاء المتديّنين الذين يفتحونه سيكونون ملحدين عندما يضعونه جانبًا»[1]. لكن الملحدين الجدد ليس عليهم أن يحاولوا تحويل الأشخاص المتديّنين إلى لادينيّين. في نهاية المطاف يمكنهم ترك الأشخاص المتديّنين والاحتفاظ بمعارضتهم للدّين لأنفسهم. بل يمكنهم حتى - وبشكل أكثر بعدًا ممّا يفعلونه الآن - أن يشجّعوا بنشاط على الإيمان الدّيني (العقلانيّ)، بدلًا من محاولة إضعافه.

الآن، ليس لديّ توقّعات بأنّ أمثال ريتشارد دوكنز أو سام هاريس سيأخذوا أيًّا من هذين النّهجين البديلين على محمل الجدّ. يمكن أن يكونوا خارج نطاق اهتماماتهم تمامًا. ومع ذلك، قد وفّر هذا الفصل الأرضيّة الفكريّة لرؤية أنّ الملحدين الجدد «يجب» أن يأخذوا النّهجين البديلين على محمل الجدّ. لننظر أوّلًا في احتمال كون الرّؤى الكونيّة العلمانيّة تسبّبت بالآلام والمعاناة الفظيعة أكثر - من حيث المعدّل - ممّا سبّبته الرّؤى الكونيّة الدّينيّة، خاصّة في القرن العشرين. فلنجمع بين هذا الادّعاء والبيانات حول التّرابطات القويّة بين المقاييس الدّينيّة والنّتائج الجيّدة. على الرّغم من أنّه يجب أن يتمّ التّفكير فيها بمزيد من التّفصيل، إلّا أنّه ليس من الصّعب تقدير الاقتراح الّذي يشير إلى أنّ المجتمع ككلّ قد يكون أفضل إذا ما يزال الكثير من الأشخاص المتديّنين (العقلاء) بين ظهرانينا[2].

إنّ مصطلح «أفضل» [الوارد في سؤال العنوان] يشير إلى المجتمع ككلّ، ولكنّه يهدف إلى ضمّ تحسين حياة الملحدين الجدد الذين يعيشون في المجتمع أيضًا. فعلى سبيل المثال، ستكون هناك فوائد مباشرة للمؤمنين بعد انخفاض معدّلات الجريمة

1. Smith, "Religious Participation and Parental Moral Expectations and Supervision of American Youth"; and "Theorizing Religious Effects among American Adolescents".

٢. لقد قمت بتوضيح هذا السبيل للتفكير بمزيد من التفصيل لجمهور فلسفي أكاديمي في:
Miller, "Atheism and the Benefits of Theistic Belief."

وتحسّـن الأداء التّعليميّ، ولكنّ هذه الفوائد ستطال أيضًا الملحدين الذين يعيشون في نفس الحيّ [مع المؤمنين].

ولكـن، قد تقول، كيف يمكـن للملحدين الجدد أن يتركوا المؤمنين وشـأنهم بشكل مسـؤول إذا كانوا يعتقدون أن عالمهم بأكمله مجرّد خرافة؟ ألا يتوجّب على الملحدين الجدد مسـاعدة الأشـخاص المتديّنين على رؤية الحقيقـة (على الأقلّ من وجهة نظر الملحدين الجدد)؟

ليس من الواضح دائمًا أنّ لدينا واجبًا دائمًا لكشف الحقيقة لشخص ما كما نراها. بل هذا مشـكوك فيه خاصّة في بعض الحالات التي يمكن أن يكون عدم الكشـف عن الحقيقة أمرًا مفيدًا للغاية. دعونا نأخذ على سبيل المثال الدّواء الوهميّ في الطبّ؛ الطّبيب الذي يُعطي حبوب السّـكّر للمريـض يخدعه من أجل محاولة تحقيق نتيجة صحّيّة أفضل. هذه ممارسـة مستخدمة على نطاق واسـع، ويبدو أنّها تعمل بشكل فعّال في بعض الحالات. يزعم الكثيرون أنّ هذه الممارسة مبرّرة بالفعل، عمومًا.

بصورة مماثلة، بدلًا من محاولة التّخلّـص من الاعتقاد الدّيني تمامًا في المجتمع، ربّما أفضل شيء يمكن للملحدين الجدد فعله هو ترك المؤمنين وشـأنهم. حتى وإن كان من وجهة نظر الملحدين الجدد أنّه لا يوجد إله، فإنّه – من حيث المعدّل – إبقاء الوهم قائمًا قد يؤدّي إلى تحسين حياتنا في المدى البعيد[1].

١. أنا ممتن لكيفين فالير وجوش راسموسـن لدعوتي للمشـاركة في هذا الحجم. تـم تقديم الإصدارات السـابقة في جامعة كوستال كارولينا ومنزل شولي في جامعة فيرجينيا كومنويلث. أنا ممتن للتعليقات المفيدة من الجمهورين، بما في ذلك أندرو مون، دونالد سميث، ديفيد هوليداي، ونيلس راوهوت.

المصادر

1. Benjamins, M., J. Trinitapoli, and C. Ellison., "Religious Attendance, Health Maintenance Beliefs, and Mammography Utilization: Findings from a Nationwide Survey of Presbyterian Women", Journal for the Scientific Study of Religion, 45, (2006): 597-607.
2. Brinkerhoff, M., E., Grandin, and E. Lupri, "Religious Involvement and Spousal Violence: The Canadian Case", Journal for the Scientific Study of Religion, 31, (1992), 15-31.
3. Brooks, Arthur, Who Really Cares, (New York, NY: Basic Books, 2006).
4. Conquest, Robert, The Great Terror: A Reassessment: 40th Anniversary Edition, (New York, NY: Oxford University Press, 2007).
5. Dawkins, Richard, The God Delusion, (Boston: Houghton Mifflin, 2006).
6. Dikötter, Frank, Mao's Great Famine: The History of China's Most Devastating Catastrophe, (New York, NY: Walker and Company, 2010).
7. Dudley, M., and F. Kosinski, "Religiosity and Marital Satisfaction: A Research Note", Review of Religious Research, 32, (1990): 78-86.
8. Elder, G., and R. Conger, Children of the Land: Adversity and Success in Rural America, (Chicago: University of Chicago Press, 2000).
9. Ellison, C., "Religious Involvement and Subjective Well-Being", Journal of Health and Social Behavior, 32, (1991): 80-99.
10. Ellison, C., and K. Anderson, "Religious Involvement and Domestic Violence among U.S. Couples", Journal for the Scientific Study of Religion 40, (2001): 269-286.
11. Ellison, C., J. Bartkowski, and K. Anderson, "Are There Religious Variations in Domestic Violence?", Journal of Family Issues, 20, (1999): 87-113.
12. Ellison, C., D. Gay, and T. Glass, "Does Religious Commitment Contribute to Individual Life Satisfaction?", Social Forces, 68, (1989): 100-123.

13. Ellison, C., and L. George, "Religious Involvement, Social Ties, and Social Support in a Southeastern Community", Journal for the Scientific Study of Religion, 33, (1994), 46-61.
14. Evans, T., F. Cullen, R. Dunaway, and V. Burton, "Religion and Crime Reexamined: The Impact of Religion, Secular Controls, and Social Ecology on Adult Criminality", Criminology, 33, (1995): 195-217.
15. Fergusson, D., L. Horwood, K. Kershaw, and F. Shannon, "Factors Associated with Reports of Wife Assault in New Zealand", Journal of Marriage and the Family, 48, (1986): 407-412.
16. Fox, S., K. Pitkin, C. Paul, S. Carson, and N. Duan, "Breast Cancer Screening Adherence: Does Church Attendance Matter?", Health Education and Behavior, 25, (1998), 742-758.
17. Hansen, G., "The Effect of Religiosity on Factors Predicting Marital Adjustment", Social Psychology Quarterly, 50, (1987): 264-269.
18. Harris, Sam., The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, (New York, NY: W.W. Norton & Company, 2004).
19. Hoge, D., C. Zech, P. McNamara, and M. Donahue., Money Matters: Personal Giving in American Churches, (Louisville: Westminster John Knox, 1996).
20. Hull, B., "Religion Still Matters", The Journal of Economics, 26, (2000): 35-48.
21. Hull, B., and F. Bold., "Preaching Matters: Replication and Extension", Journal of Economic Behavior and Organization, 27, (1995): 143-149.
22. Koenig, H., M. McCullough, and D. Larson., The Handbook of Religion and Health. 2nd ed, (New York, NY: Oxford University Press, 2012).
23. Lipford, J., R. McCormick, and R. Tollison., "Preaching Matters", Journal of Economic Behavior and Organization, 21, (1993): 235-250.

24. McGrath, Alister., "Is Religion Evil?", In God is Great, God is Good: Why Believing in God is Reasonable and Responsible, edited by William Lane Craig and Chad Meister, (Downers Grove: IVP Books, 2007), 119-133.
25. McGrath, Alister and Joanna McGrath., The Dawkins Delusion? Atheist Fundamentalism and the Denial of the Divine, (Downers Grove: IVP Books, 2007).
26. Miller, Christian., "Atheism and the Benefits of Theistic Belief", Oxford Studies in Philosophy of Religion, Vol. 4, Oxford: Oxford University Press, 2012): 97-125.
27. Muller, C., and C. Ellison, "Religious Involvement, Social Capital, and Adolescents' Academic Process: Evidence from the National Longitudinal Study of 1988", Sociological Focus, 34, (2001): 155-183.
28. Park, J. and C. Smith., "'To Whom Much Has Been Given . . .': Religious Capital and Community Voluntarism Among Churchgoing Protestants", Journal for the Scientific Study of Religion, 39, (2000): 272-286.
29. Regnerus, Mark., "Shaping Schooling Success: Religious Socialization and Educational Outcomes in Urban Public Schools", Journal for the Scientific Study of Religion, 39, (2000): 363-370.
30. Regnerus, M., and G. Elder., "Staying on Track in School: Religious Influences in High- and Low-Risk Settings", Journal for the Scientific Study of Religion, 42(2003): 633-649.
31. Regnerus, M., C. Smith, and D. Sikkink., "Who Gives to the Poor? The Influence of Religious Tradition and Political Location on the Personal Generosity of Americans Toward the Poor", Journal for the Scientific Study of Religion, 37, (1998): 481-493.
32. Reitan, Eric., Is God A Delusion? A Reply to Religion's Cultured Despisers, (Malden: Wiley-Blackwell, 2009).

33. Smith, Christian., "Religious Participation and Parental Moral Expectations and Supervision of American Youth", Reviews of Religious Research, 44, (2003): 414-424.
34. ———., "Theorizing Religious Effects among American Adolescents", Journal for the Scientific Study of Religion, 42, (2003): 17-30.
35. Strobel, Lee., The Case for Faith, (Grand Rapids: Zondervan, 2000).
36. Vander Weele, Tyler., "Religious Communities and Human Flourishing", Current Directions in Psychological Science, 26, (2017): 476-481.
37. Ward, Keith., Is Religion Dangerous?, (Grand Rapids: Eerdmans Publishing, 2006).
38. Witter, R., W. Stock, M. Okun, and M. Haring., "Religion and Subjective Well- Being in Adulthood: A Quantitative Synthesis", Review of Religious Research, 26, (1985): 332-342.
39. Wright, L., C. Frost, and S. Wisecarver, "Church Attendance, Meaningfulness of Religion, and Depressive Symptomatology Among Adolescents", Journal of Youth and Adolescence, 22, (1993): 559-568.